



سرمية

## غروب الأندلس

تأليف الشاعر الكبير عزيز أباطة

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

يسمفه إلهام لا ينضب ميينه، وفن مبدع تتحلب أفويقه، ولسان مطواع يأخذ الألباب بسحر بيانه. فإذا رزق غزارة العقل وحنكة الدهر وتجارب الأيام جلي ما يريد أدياراً ثمان تستمذبه الفطر السليمة كما تستمذب الهيم سلسيل الماء، وتطرب له الجماعة كما يطرب السامرون لرنين الوتر في هدأة الليل وخفقة السحر، وتصغى إليه كل أذن واعية كما يصغى الشوق إلى نغمات المطرب وروثة الفريد. وإن الكلمة البليغة لا تغل ترداها الأفواه، والبهت الرقيق لا تسأم من تكراره الأسماع

لقد سقت هذه المقدمة بمناسبة ما قدمه الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباطة للمسرح في تلك الأيام.. ألا وهو مسرحيته الشعرية « غروب الأندلس »

وإذا كان الأستاذ قد أحف المسرح بمسرحيات قيس ولبنى، والناصر، والعباسة، وشجرة الدر، فإن مسرحية غروب الأندلس التي تعرض الآن في دار الأوبرا تعد أقوى ما ألف وأبدع ما نظم من حيث عمقها وبخشنا وراه الأسباب التي تنهار من أجلها الشعوب، ومن حيث حكمها وما فيها من توجيهات يجب أن يأخذ بها من يريد للأمة حياة كريئة وصوتنا من الأقول والروال

ولعمري إن مأساة العرب في الأندلس لتذهب النفس عليها حشرات، وتنسكب الدموع أسى وحرنا على ذلك العصر الذي أرداها فيه ما كان عليه زعمائها وأمرؤها من تطاحن وتنازع وتفرق كلمة وانتماس في الملاذ والشهوات، والاستعانة بالأجنبي الطامع لتهرب الأهل وذوى القرى

ولقد كان الأستاذ عزيز أباطة وهو يستوحى التاريخ يتمثل حال مصر في عهودها البائدة، عالا بأسرارها مطلقا على خباياها لما له من خبرة ومنزلة، فتغلى مراحل غضبه ويشور النايظ في قلبه فيسكب شعرا تلمس فيه حرارة التأثر مما رأى وبلاغة التأثير فيمن يسمع ويرى

ويذكر المؤلف في مقدمة المسرحية أنه نظمها قبل أن يبعث الله لمصر ٢٣ يوليو روحا طاهرا وثابا في جيشها الكريم فيتباركها من السقوط في هوة لا يدرك لها قرار. وما من شك أنه قد أضاف إليها شيئا قل أو أكثر بعد هذا الميث الذي نشر مصر على أيدي

لا يستطيع أديب أن يعبر عن آلام الشعب التي تهز كيانه، وأن يصور آلامه التي تهفو إليها نفوس أفراده إلا إذا كان بحس إحساسهم ويشعر شعورهم فيضطرب بين ضلوعه ما يختلج في حنايا صدورهم، ويعتمل في أطواء قلبه ما يجول في خبايا أفئدتهم، على أن

ثم عاد إلى مصر فلم يلبث أن فقد بصره وأمضى الأيام الباقية من عمره، منتقبض النفس مطويا حزينا

وهو أول من أنشأ فن « رثاء الزوجة » في الأدب العربي الحديث، فلم يكن هذا اللون معروفا أو مقبولا من قبل حتى جاء محمود سبأى البارودي فكتب قصيدته في رثاء زوجته، ثم جاء بعد ذلك عزيز أباطة وعبد الرحمن صدقي فغنيا في هذا الطريق

ويلتقى شكيب أرسلان وسامى البارودي في ذلك المعنى الذي تحمل النفس المهاجرة لأمد طويل، فقد قضى كل منها صدر حياته في المنفى، فلما عاد لم يلبثا طويلا

وإذا كان تاريخ أبطال الثورة العرابية لم يكتب حتى الآن لأن الظلم والظن كان يحيط بتاريخ الأحرار من الرجال، فقد حق اليوم أن يكتب عن هؤلاء الرجال الذين كتبوا في مصر الحديثة صفحة الحرية، فبالك وقد كتب محمود سامى البارودي صفحتين في الأدب والسياسة جديرتين بالخلود

أنور الجندي

أبنائها الأخيار

كم شقبت مصر في عهودها البائدة وتعثرت في خطاها إلى  
المجد فلم يقلها من عثرتها أولئك المهيمنون عليها ، ولم ينهضوها من  
كبوتهن مخافة أن تحرمهم مما انعموا فيه من رف السفهاء  
وشره الجبناء ؛ وأراد الله أن يجعل نهايتهم فجعل في آذانهم وقرا  
فانكبوا يخضعون ويلفون لانتفص عليهم لئذاذاتهم هذه الأناث  
المكتومة والزفرات المحمومة . وزادهم الله ضلالا فجعل على أبصارهم  
غشاوة أعمتهم عن رؤية النذر والنظرات الصاعقة التوعدة ، وأملئ  
لهم فساق لهم عبيدا يمينونهم على اقرار آثامهم واجترأ كباثرهم  
فكانت الأفلام الحرة تقصفها القوة الناشئة ، والزمات الأيية  
تكبلها القوانين الظالمة ، والأفواه الناطقة تغلقها الأيدي اللطخة  
بدماء الأبرياء . ويأويل الأمة المتلوبة على أمرها النهوكة القوى بسبب  
ما يعتصه رؤساؤها من دماء أبنائها وهم يتطاحنون على السلطة  
ويتنافسون على بلوغ المناصب بكل الوسائل ، فيكيد بعضهم لبعض ،  
ولا يرضى هذا أن يجي الخير على يدي ذلك ، ويضيق أحدهم خيرا  
محققا في سبيل ماسيكون في بطنه يوم القيامة نارا تتأظى وفي  
الدينا سبة وخزيا ، لكنه حريص على المنصب ولو كان يكفنه  
الصغار وتحيط به الذلة والسكنة . ومن حول الأمة أعداء طامعون  
في تمزيقها حريصون على استبادهام عاملون على توسيع شقة الخلاف  
بين أفرادها الذين تفرقوا شيئا وراء التزعيم الضالين .

إن مسرحية غروب الأندلس وبصدقها التاريخ تعرض لكل  
هذا في حبكة فنية وتسلل متماسك وبيان أخذ ، ولن تقلب صفحة  
من المسرحية وأنت تقرأ ، ولن تمر لحظات وهي تمثل إلا رأيت  
وسمعت حكمة بليغة تقع على ماق نفسك موقع البلمس الناجع على  
الجراح الأليمة فلا تملك إلا أن تمنحها التقدير والإعجاب

ولا تسكت المسرحية عن التعرض للماهدات التي يعقدها  
القوى مع الضعيف ، وآثارها الوخيمة ، وذلك التخريج والتأويل  
الذي يفسره صاحب القوة كما يشاء

الأمر للأقوى يؤوله كما شاءت له الأطلاع والأهداف  
ولا يغفل عن الطرق اللثوية التي يسلكونها اكتسابا للوقت  
وهم يعدون حبال الآمال ويخوِّط الأمان الواهية فيسوق على لسان  
المخبر وزير فردينان وهو يخاطب إيزابلا

لا تقطعي الأمر حتى تصح منا المزمع  
والخير أن تستمر المفاوضات العقيمة  
تظل تلهي فتوهي عرى الأمور الجسيمة  
ولم يفت الشاعر أن يصور لنا هذه النفسية الوضيعة بطريقة  
مرحة وهي تدهن وترأى وتنير آراءها وتلون ، زاعمة أن ذلك هو  
السياسة الرشيدة والله يعلم أنها الحسة والصنار . فالسرحية تمثل لك  
ذلك في شخصية أبي القاسم وزير العرب في الأندلس أيام غروبها  
حتى الزواج بالفرنج ومساوى الضرائر قد وجد له نصيبا في  
المسرحية وكان له في الغروب تأثير

وبين هذا العبوس والظلام ، وفي وسط هذه المحن والآلام ،  
لا يفتي الشاعر في مسرحيته ذلك الحب ورقته ، ورأى النساء في  
الدلال الذي قد يبعد الحبيب وقد يجره مطواعا وبين الاستجابة  
التي قد تدينه أو تنليه

إن هذه المسرحية مسوقة لتكون عظة للشرق وعبرة ، ولا  
خير فيمن لا يتعظ بماضيه ، فإن الشرق في الواقع لم يصب بالكوارث  
ولم تتحيفه الخطوب تحيف المقراض ، ولم يصبح نبيا مقسوما ولقمة  
سائفة لا تشجى عند ابتلاعها حلقوما ولا تنص حلقا إلا لتفرق  
كلمته . وبألت أعداءه حسبوا أهله جيما فها يومهم ، بل عرفوا أنهم  
شقي وأن بأسهم بينهم شديد

وإذا كنت قد ذكرت لك طرفا مما في المسرحية فإن ما فاتني  
ذكره كثير . ولم أرد أن أسوق لك نماذج عديدة من حكمها النوال  
ما ذلك إلا لكي ترى وتسمع بنفسك ، وعلى كل شيخ وشاب أن يعمل  
على رؤية المسرحية فهي للشيخ زاجر وواعظ يدعوهم إلى أن  
يتركوا خلافاتهم أو يدفنوا أنفسهم حتى لا يضروا أوطانهم . وهي  
للشبان حافر ودافع يدعوهم إلى أن يجعلوا أنفسهم للوطن جنة  
وعدة تقيه السوء وتحميه من كيد الكائدين ، ولا ينساقوا وراء  
الدجالين والتزعيم الضالين . فإلى الأستاذ الكبير والشاعر المبدع  
عزيز أباطة أبحث تحية الإعجاب بهذه المسرحية ، راجيا أن يقدم  
للمسرح مثلها أخوات

عبد النور أحمد فراج